

## الباب الأول

أوضاع الموالى فى ظل العباسيين .. وفيه فصلان

### الفصل الأول

التعريف بالمولى والفرق بينه وبين المصطلحات الأخرى

كلمة مولى تُطلق ويُراد بها عدة معانى فى اللغة العربية ، وتتعدد هذه المعانى على حسب سياق الكلمة وورودها فى الجمل المختلفة .  
فيطلق مولى على الرب والمالك كما فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (١) .

كما يُطلق على القريب من العصبية كالعم وابن العم (٢) ، والعصبية كلهم ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ (٣) ،  
والعرب تسمى بنى العم الموالى ، قال شاعرهم :

مهلاً بنى عمنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً (٤)  
كما يُطلق على الناصر كما فى قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ (٥) .

كما يُطلق على الابن بالتبني مولى ونرى ذلك واضحاً فى قوله تعالى :  
﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ (٦) .

كما يُطلق أيضاً على السيد ومنه قول الرسول ﷺ بشأن النهي عن تسمية السيد بالرب قوله « ليقبل ( أى العبد ) حينما يخاطب سيده سيدي مولى » (٧) .

كما يُطلق اللفظ أيضاً على العبد المعتوق ، ونرى هذا المعنى واضحاً فى

(٢) المعجم الوجيز ص ٦٨٢ .

(٤) القرطبي - تفسير القرطبي ٤١١٧/٦ .

(٦) سورة الأحزاب : ٥ .

(١) سورة الأنعام : ٦٢ .

(٣) سورة مريم : ٥ .

(٥) سورة محمد : ١١ .

(٧) البخاري - فتح الباري ١١١/٥ .

قول الرسول ﷺ « مولى القوم من أنفسهم » (١) ..  
وتُطلق أيضاً كلمة مولى على الخليف والصاحب والجار والشريك إلى غير ذلك من الإطلاقات التي تدل على سعة اللغة في إستيعابها لكل الألفاظ اللغوية .

أما في الإصطلاح والشرع الإسلامى فإننا نجد للمولى معنيين :  
**الأول** : المعتوق ويسمى مولى العتاقة .  
**الثانى** : الخليف ويسمى مولى الموالاته .

فمولى العتاقة هو رقيق أعتقه سيده فيصير منسوباً إلى المعتق بالولاء والطاعة ، ويسمى هذا ولاء النعمة . أما مولى الموالاته فهو رجل ينتمى لآخر عن طريق المخالطة أو بالخدمة أو المخالفة فينسب إليه أو ينتمى إلى قبيلة من القبائل أو بطن من البطون فينسب إليها ، وقد أقر الإسلام هذا النوع من الولاء فقال ﷺ : « مولى القوم منهم بالحلف حيث يأتى الرجل للآخر ويقول له أنت مولاى ترثنى إذا مت » .

وكتب عمر إلى بعض عماله الموالى ثلاثة : مولى رحم ومولى عتاقه ومولى عقد ، فمولى الرحم يرث ويورث ومولى العتاقة يرث ولا يرث ومولى العقد لا يرث ولا يرث وميراثه لعصبته (٢) .

ولكن المفهوم المتعارف عليه لدى الباحثين لكلمة مولى هم المسلمون من غير العرب (٣) .

وهؤلاء إما أن يكونوا أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا بعد ذلك فصاروا موالى ، وإما أن يكونوا من أهل البلاء المفتوحة وهؤلاء كانوا حينما يدخلون فى الإسلام ينضمون إلى العرب ويدخلون فى خدمتهم ويتحالفون معهم فيعتزوا بشوكتهم وقوتهم ويصبحوا من أنصار الإسلام وأتباعه الذين يعملون على نشر مبادئه وتعاليمه فى أرجاء الأرض ، وهؤلاء هم محور البحث وحجر زواياه .

### أولاً- الفرق بين الموالى وأهل الذمة :

عرفنا فيما سبق ذكره أن من معانى كلمة مولى هم الأقارب وبنو العم الذين يلونهم فى النسب ، وهناك مصطلحات أخرى أطلقها الفقهاء على طبقة

(١) أخرجه الإمام البخاري فى صحيحه كتاب الفرائض باب مولى القوم من أنفسهم وابن الأخت منهم ١٩٣/٨ .

(٢) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٤١٠/٣ .

(٣) الطيب التجار - الموالى فى العصر الأموي ص ١٤ .

معينة من طبقات المجتمع الإسلامى وهم أهل الكتاب الذين أدركهم الإسلام واستظلوا بظله الوارف ونعموا بسماحته ولكنهم لم يدخلوا فيه وإنما ظلوا متمسكين بما هم عليه من الديانة فبقى اليهود على يهوديتهم والنصارى على نصرانيتهم .

والذمة تعنى فى اللغة العهد والميثاق والأمان ورجل ذمى أى له عهد ، والذمى هو المعاهد الذى أعطى عهد أمان لماله وعرضه ودينه (١) .

وقد أطلق هذا المصطلح على غير المسلمين الذين عاشوا فى ظل الإسلام ولم يؤمنوا به وسموا أهل الذمة لأنهم دفعوا الجزية إلى المسلمين فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وأصبحوا فى ذمة المسلمين (٢) .

كما سموا بالمعاهدين لأنهم أعطوا العهود من المسلمين مع إقرارهم بالولاء والطاعة لهم ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٣) .

وسموا أيضاً بالمستأمنين لأنهم أعطوا الأمان ، والأمان هو التزام الكف عن التعرض لهم بالقتل أو السبى لأن الأمان يحرم القتل عملاً بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

ومن المسميات التى أطلقت على غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى تسمية القرآن لهم بأهل الكتاب تمييزاً لهم عن غيرهم من عبدة الأوثان والأصنام ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آمَن تَبَغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

والمراد بأهل الكتاب عند الفقهاء اليهود والنصارى (٦) .

ويلحق بأهل الكتاب المجوس (٧) لقول الرسول ﷺ « سنوا لهم سنة

(١) إبراهيم أنيس - المعجم الوسيط ٣١٥/١ والزبيدي / تاج العروس من جواهر القاموس ٣٠١/٨

(٢) السرخسي - شرح السيد الكبير ١٨/١ .

(٣) سورة المائدة آية : ١

(٤) سورة التوبة آية : ٦ .

(٥) سورة آل عمران آية : ٩٨ ، ٩٩ .

(٦) الإمام الشافعي - الأم ٢٤٥/٤ .

(٧) المجوس - نحلة من النحل - كانت تدين بها الفرس ومن دان بدينهم . والمجوس هم القائلون بأصلين - النور والظلمة - ( الشهبستاني / الملل والنحل ١٦/٢ ) .

أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم» (١).

كما يلحق بأهل الذمة الصابئة (٢).

وأهل الذمة وإن كانوا من العجم مثل الموالى إلا أنهم يختلفون عنهم فى الديانة ، فالموالى بدخولهم الإسلام صاروا مسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما على المسلمين من واجبات .

### ثانياً. الموالى فى عصر الرسول ﷺ :

دعا الإسلام منذ بزوغ فجره الوضاء إلى القيم والفضائل التى تؤلف بين القلوب وتجمع القوى الإنسانية على أساس من الحرية والعدل والمساواة ، ونظم الإسلام العلاقات بين الناس وجعل أساسها التعاون على البر والتقوى .

فالإسلام دين الله الذى من أجله أرسل الرسل وأنزل الكتب ، دين يمتاز بالشمولية والوسطية وينظم بأسسه القويمة وقواعده الراسخة العلاقات الإنسانية بين الناس مهتماً باختلفت ألوانهم وأجناسهم وأديانهم ، وهذه القواعد والأسس تلخص فى المحافظة على الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية بكل صورها والتعاون العام والمودة والرحمة بالإنسانية والسعى إلى التعمير فى الأرض ودفن الفساد عنها .

فالعالم بما يجد فيه وما يترتب عليه من تطور اجتماعى واقتصادى وفكرى عام فى علمه سبحانه ، وإنه لهذا وضع الخطوط الثابتة والمبادئ العامة والقواعد الشاملة التى لا تخرج أطوار الإنسان فى النهاية عن حدودها وترك التطبيقات لتطور الزمان وبروز الحاجات فى حدود مبادئه العامة وقواعده الشاملة (٣) .

فهذا الشمول فى طبيعة النظرة الإسلامية للكون والحياة والإنسان هو فى الحقيقة عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها .

وفى عهد رسول الله ﷺ كان الإسلام سراجاً منيراً يضىء للناس كل مسالك الحياة وفجاجها وطبقت كل هذه المبادئ فى عهد الرسول ﷺ .

(١) البيهقي - سنن البيهقي ١٨٩/٩ .

(٢) هم قوم من عبدة الكواكب والنجوم وهم قلة كانوا يعيشون فى حران بين النهرين ودينهم مزيجاً غريباً من التوحيد والخرافة وتعظيم للكواكب .

(٣) سيد قطب - العدالة الاجتماعية فى الإسلام ص ١٧ .

وأصبحت واقعاً عملياً في حياة المسلمين ، وقضى الإسلام على التفاوت والتفاضل بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح فقال سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

فلا مكان في الإسلام للتفاخر والتعالي والتناذب بل المكان للتعارف والتآلف والتماسك والاعتصام .

ويذكر المؤرخون أن رسول الله ﷺ كان له مولى يدعى سفينة وكان في الأصل عبداً للسيدة أم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ فبقى مع آل البيت أليفاً سعيداً بحسن المعاملة له ، واسمه أبو عبد الرحمن ولكن الرسول ﷺ سماه سفينة بسبب أنه حمل متاع الرسول والصحابة معه وكانوا في سفر فقال له النبي ﷺ يداعبه « احمل ما أنت إلا سفينة » (٢) .  
ومن موالى رسول الله ﷺ أبو رافع وأم أيمن وكانت تسمى بركة ، وثوبان وأبو ضميرة وغيرهم (٣) .

وفي ظل المساواة المطلقة بين بنى الإنسان قام رسول الله ﷺ بتزويج مولاه زيد بن حارثة من ابنة عمته ( زينب بنت جحش ) سليمة العز والشرف ، وحينما آخى محمد ﷺ بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة كان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين وكان أبو بكر وخارجه ابن زيد أخوين وأبو رويحة الخثعمي وبلال بن رباح أخوين ، بل أن رسول الله ﷺ تعقب كل مظان التفاوت والتفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح في كل صورها وملابساتها وأسبابها ليقضى عليها جميعاً ، ولهذا بعث بزید مولاه قائداً لغزوة مؤتة (٤) ثم بابنه أسامة بن زيد قائداً لغزو الروم في جيش يضم كثرة من كبار المهاجرين والأنصار ، ثم يستأذن الخليفة من أسامة قائد الجيش في أن يظل معه فيقول له : ( إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ) (٥) .

فالإسلام جاء ليقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير في الحيا والممات في الحقوق والواجبات ولا كرامة إلا بالفضائل ومكارم الأخلاق (٦) .

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ . (٢) ابن كثير - البداية والنهاية ٨ / ٣٢٢ .  
(٣) ابن قتيبة - المعارف ص ٦٥ . (٤) مؤتة - بالضم والهجرة .. قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ( ياقوت الحموي - معجم البلدان ٥ / ٢٢٠ ) .  
(٥) البيهقي - تاريخ البيهقي ٨٦ / ٢ . (٦) سيد قطب - العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ٥٢

وفى ظل العدالة والمساواة الإسلامية المطلقة اعتز العربى والعجمى فاعتز بلال بن رباح وسلمان الفارسى وصهيب الرومى بنسبهم إلى الإسلام ، وقد صرح النبى ﷺ بالمساواة المطلقة أمام الأحكام الشرعية فقال ﷺ « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » وأخذ الصحابة عن رسول الله ﷺ هذا المنهج القويم وطبقوا هذا النوع من العدالة المطلقة أكمل تطبيق فكان سيدنا عمر يقول ( القوى منكم ضعيف حتى أخذ الحق منه والضعيف قوى حتى أخذ الحق له ) ، كما كان يقول فى حق سيدنا بلال بن رباح ( أبو بكر سيدنا أعتق سيدنا ) .

ولما فتح المسلمون البلاد الإسلامية ومنها العراق والشام ودخل الناس فى دين الله أفواجاً سوى الصحابة بين المسلمين فى المعاملة والعطاء وبين العرب وغيرهم من العجم الذين أسلموا وأنابوا وكانوا يسمون الموالى ونظروا إلى الجميع بالرضا وعدم الإساءة أو الاحتقار .

### ثالثاً - الموالى فى عهد الخلفاء الراشدين :

ونرى هذه العدالة والمساواة فى أروع صورها فى المنهج القويم الذى سلكه الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ ، فقد اتسمت سياسة الصديق بالعدالة والمساواة ، فكان يقسم العطاء بين المسلمين بالعدل والإنصاف فلا حيف ولا إجحاف . وتتجلى هذه العدالة والمساواة فى خلافة الصديق من خلال منهجه الذى أعلن عنه أول خطبة له إذ يقول ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه خيراً : ( إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن استقمتم فاتبعونى وإن زغت فقومونى إلى أن قال وإن أقواكم عندى الضعيف حتى أخذ له الحق وإن أضعفكم عندى القوى حتى أخذ منه الحق ) (٢) . كما كان عادلاً بين مواليه الذين منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وأبو نافع مولى عبد الرحمن بن أبى بكر (٣) .

فلما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سار على المنهج القويم والشريعة الغراء حتى صار مضرب الأمثال فى العدل والمساواة ، فإذا ذكر العدل ذكر معه عمر رضي الله عنه حتى قيل لا يوجد عدل من عمر ، ولست أعدل من عمر رضي الله عنه

ولهذا صارت سيرته الركبان يحكيها الزمان للزمان . .

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ٤١١/٥

(٣) السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٦٧ ، واليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ٨٦/٢ .

(٣) ابن قتيبة - المعارف ص ٧٧ .

فعندما شرع في تقسيم العطاء جعل التفاضل فيه حسب الأسبقية والجهاد في الإسلام ، فليس من آمن بالإسلام وصدق الرسول مات وسارع إلى التضحية والجهاد كمن حاربه وكذبه وقعد عن نصرة الحق وقال : لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه (١) .

فيذكر المؤرخون - أن عمر بن الخطاب لما فتح العراق والشام وقف خطيباً بعد أن جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال : إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله ، فقالوا : نعم ما رأيت الرأي يا أمير المؤمنين ، قال : فبمن أبدأ ؟ قالوا : بنفسك ، قال : لا ولكني أضع نفسي حيث وضعها الله وأبدأ بأل رسول الله ﷺ ثم المهاجرين الأولين ثم أنا وبأصحابي الذين أخرجوا من مكة من ديارهم وأموالهم ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم . ثم قال فمن أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته (٢) .

واقترضت عدالة الفاروق أن يسوى في العطاء بين العرب والموالي الذين أسلموا وحسن إسلامهم ، فأعطى للعربي أربعمائة وللمولى أربعمائة ، كذلك فسوى بينهم في العطاء كما كان يسوى بينهم في الأفضية (٣) .

فسيدنا عمر لم يفرق بين العرب والموالي في العطاء ولا في المعاملة إلا على أساس التقوى والصلاح والاخلاص وكثرة البلاء في الإسلام ولم يفرق بين عربي ومولى فكلاهما مسلم والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله . ومادام أن الإسلام قد سوى بين الجميع فلا فرق بين غني وفقير ولا بين عربي وعجمي ولا بين لون ولون إنما التفاضل بالقيام بالفضائل الإنسانية والأعمال الصالحة النافعة للفرد والجماعة ، وقد قرر الإسلام مبدأ الإخاء في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ومن هنا أقسم عمر رضي الله عنه بالله الذي لا إله إلا هو ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحد إلا عبد مملوك وما أنا فيه كأحدكم ولكننا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسمنا من رسول الله ﷺ « فالرجل وتلاده في الإسلام والرجل وقدمه في الإسلام والرجل

(١) أبو يوسف - الخراج ص ٤٣ .

(٢) أبو عبيدة الاموال ص ٢٨٥ ، والبلاذري - فتوح البلدان ص ٤٣٥ .

(٣) أبو يوسف - الخراج ص ٤٤ .

وغناه في الإسلام والرجل وحاجته في الإسلام ، والله لإن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء (١) حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه (٢) .

وكان يقول : والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه (٣) .

فكان الموالي والعربي في عهده سواء بل كان يفضل أصحاب الكفاءة ويرشحهم للولاية والأعمال الإدارية الهامة في الدولة الإسلامية دون النظر إلى جنسهم أو أصولهم ماداموا مسلمين ، فكان يقول « لو كان سالم مولى حذيفة حياً لوليته » (٤) ، كما أسند ولاية الكوفة إلى عمار بن ياسر وهو أحد الموالي .

وحدث في عهد الخليفة عمر أن وقف ببابه سهيل بن عمر وابن الحارث وأبو سفيان بن حرب وجماعة من كبراء قریش فيأذن عمر لصهيب وبلال قبلهما وهما موليان فقيران ولكنهما من أهل بدر ومن السابقين من الصحابة فتورم أنف أبي سفيان من الغضب لهذا التقديم وينطلق لسانه يدعو بدعوى الجاهلية ويقول ( لم أر كالיום قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ) .

ويمر عمر بن الخطاب يوماً فيرى مشهداً في مكة يغضبه ، يرى الخدم وقوفاً لا يأكلون مع سادتهم فيغضب ويقول لسيادتهم مستكراً ( ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم يدعو الخدم للأكل مع السادة في جفنة واحدة ) (٥) .

كان عمر رضي الله عنه لا يفرق في عدله بين أمير وسوقه ولا بين والٍ ورعية ولا بين سيد ومولى فالكل أمام العدالة الإسلامية سواء ، وكان يقول إن الناس لا يزالون مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم وأن الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله فإذا رتع رتعوا (٦) .

وخطب رجل من الموالي إلى رجل من قریش أخته وأعطاهما مالاً جزيلاً

(١) صنعاء / منسوبة إلى جودة الصنعة وتطلق على موضعين .. الأول : صنعاء اليمن وأحسن بلادها ، والثاني : صنعاء قرية في الغوطة من دمشق كثيرة الفواكه والمياه ( ياقوت الحموي / معجم البلدان ٤٢٦/٣ ) .

(٢) أبو يوسف - الخراج ص ٤٦ . (٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى ٢١٣/٣ .

(٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٢٠٠/٤ .

(٥) سيد قطب - العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨٢ .

(٦) هيكل - الفاروق عمر ١٦٧/٢ ، السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٢٩ ، وابن الجزري - مناقب عمر ص ١١٣ .

فأبى القرشى تزويجها إياه ، فلما بلغ ذلك عمر قال للقرشى : ما منعك أن تزوجه فإن له صلاحاً وقد أحسن عطية ؟ أختك ، فقال القرشى : يا أمير المؤمنين إن لنا حسبا وإنه ليس لها بكفاء ، فقال عمر : لقد جاء بحسب الدنيا والآخرة ، أما حسب الدنيا فالمال وأما حسب الآخرة فالتقوى .. زوج الرجل إن كانت المرأة راضية فراجعها أخوها فرضيت فزوجها منه .

وفى ظل هذه الروح السمحة التي تفيض بالحب والمودة بين المسلمين نرى سيدنا بلال بن رباح يتوسط لأبى رويحة الخثعمي في الزواج من قوم من اليمن ، فيذهب إليهم ويبيده رويحة فيقول لهم : هذا أخي رويحة وهو امرؤ سوء في الخلق والدين فإن شئتم أن تزوجوه فعلتم وإن شئتم أن تدعوه فدعوا ، فأكرموه من أجل بلال وقبلوه .

ويذكر البلاذري : أن قوماً قدموا على عامل لعمر بن الخطاب فأعطى العرب منهم وترك الموالي فكتب إليه عمر .. أما بعد فيحسب المرء من الشران يحقر أخاه المسلم والسلام (١) .

فكان التفاوت والتفاضل بين الناس في عهد عمر رضي الله عنه أساسه التقوى والعمل الصالح فلا يجعل الوضع الجبان وإن كان عربياً مثل الشريف الشجاع وإن كان أعجمياً .

أما في عهد عثمان فقد طبقت العدالة أكمل تطبيق ودعا إلى ضرورة تحقيق العدل بين الأفراد . حتى الموالي فقد كان شديد العطف عليهم في مواله كيسان أبو فروة وابنه عبد الله بن أبي فروة (٢) .

وفى عهد الإمام علي رضي الله عنه شدد في تطبيق قاعدة العدالة بين الأفراد ومنع المحاباة للحسيب أو النسيب أو لصاحب الجاه أو السلطان ، ولعل الشدة العاتية التي مرت بها الدولة الإسلامية في عصر عثمان بن عفان تركت آثاراً بالغة في نفوس المسلمين لأخذ الحيطة والحذر في إيصال الحقوق إلى أصحابها والقضاء على بقايا العصبية إن وجدت والتحري في كل ما دق وجل من الأمور .

وروى المدائني أن طائفة من أصحاب علي بن أبي طالب مشوا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب

(١) البلاذري - فتوح البلدان ص ٤٤٣ والأموال لأبي عبيد ص ٣٠٠ .

(٢) ابن قتيبة - المعارف ص ٨٧ .

وقريش على الموالي والعجم واستعمل من تخاف خلافه من الناس . فقال لهم : « أتأمروتنى أن أطلب النصر بالجور » ، وإنما قالوا ذلك لأن معاوية كان يصنع فى المال (١) .

فكان على ﷺ لا يفضل شريقاً على مشروف ولا عريباً على عجمى ولا يصانع الرؤساء وأمرء القبائل فكان هذا من أقوى الأسباب فى تقاعد العرب عنه .. ولهذا علا شأن الموالي فى عهده عندما سوى بينهم وبين العرب فى المعاملة والعطاء .

ويذكر البلاذرى - أن الموالي قد أخلصوا لعلى بن أبى طالب قبيل أن يقدم مصرهم ويتقل حاضرتة إلى الكوفة (٢) فحافظوا على بيت مال البصرة حتى يقدم على إليهم وأبوا أن يسلموه إلى طلحة والزبير عندما قدما إلى البصرة لقتال على بن أبى طالب (٣) .

وصفوة القول أن هذه الفترة كان المجال فيها مفتوحاً أمام الموالي ليلغوا أقصى مراتب اللجد فى كل اتجاه ، فسيئنا عبد الله بن عباس يذكر ويذكر معه مولاة عكرمة وعبد الله بن عمر ومعه مولاة نافع وأنس بن مالك ومعه مولاة ابن سيرين وأبو هريرة ومعه مولاة عبد الرحمن بن هرمز .

#### رابعاً- الموالي فى عصر الدولة الأموية :

رأينا فيما سبق كيف كانت تسير سياسة الخلفاء الراشدين ﷺ فى اتجاه صحيح وفق شريعة الإسلام السمحة التى أذابت الفوارق بين العرب والعجم وأماتت العصبية الجاهلية والعنصرية وأقامت مبادئ العدالة والمساواة بين المسلمين جميعاً ﴿ كلكم لآدم وآدم من تراب ﴾ .

ولكن سرعان ما تغيرت معالم هذه السياسة الراشدة فى ظل بنى أمية الذين حكموا العصبية العربية وعولوا عليها فى تصرفاتهم ففرقوا بين العرب المسلمين والموالي ، فكانوا يقدمون العرب على غيرهم فى القيادة والولاية وشئون الحكم والسياسة ، ومن ثم أصبح الموالي فى عصر بنى أمية فى منزلة أدنى من العرب بسبب تعصب بنى أمية لبنى جنسهم من العرب ، وأصبحت سياستهم

(١) أحمد أمين - ضحى الإسلام ٢٤ / ١ .

(٢) هو المصر المشهور بأرض بابل بالعراق ، وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) فتوح البلدان ص ٤٦٥ .

مع الموالي هي سياسة القوى مع الضعيف ومنطلق الغالب مع المغلوب (١).  
والشواهد التاريخية والحضارية تدل على ذلك دلالة واضحة على نوعية  
المعاملة التي شرع فيها بنو أمية مع مواليهم .

فلقد روى عن معاوية بن أبي سفيان : أنه دعا الأحنف بن قيس وسمرة بن  
جندب فقال إنني رأيت هذه الحمراء (٢) قد كثرت وأراها قد قطعت على  
السلف وكأنني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت أن  
أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق فما ترون ؟ فقال  
الأحنف بن قيس : أرى أن نفسى لا تطيب أخى لأمى وخالى ومولاى وقد  
شاركناهم وشاركونا فى النسب . وأطرق فقال سمرة بن جندب : اجعلها إلى  
أيها الأمير فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه ، فقال قوموا حتى أنظر فى  
هذا الأمر ، قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف وأتيت أهلى حزناً ، فلما  
كان بالغدادة أرسل إلى فعلمت أنه أخذ برأى وترك رأى سمرة (٣).

وفى هذا إشارة واضحة تبين ما كانت تنطوى عليه نفوس بعض الأمويين  
من أنفة واستعلاء على الموالي بحيث جعلوهم فى منزلة أدنى من العرب ،  
وعولوا على إضعاف نفوذهم لتظل للعرب الهيمنة عليهم ، والقرائن التي  
تشير إلى هذا النوع من المعاملة كثيرة ، سواء كانت فى المعاملة أو فى العطاء  
وهو ما يقدر لهم من الفىء أو الغنائم .

ومن ذلك ما رواه الأصفهاني عن حكاية رجل من الموالي خطب بتأ من  
أعراب بنى سليم وتزوجها فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة  
ووالها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، فشكا إليه فأرسل الوالى إلى  
المولى ففرق بين المولى وزوجته وضربه مائتى سوط وحلق رأسه ولحيته  
وجاجبه ، فقال محمد بن بشير :

قضيت بسنةٍ وحكمت عدلاً ولم ترث الحكومة من بعيد  
إلى أن قال :

(١) محمد الطيب النجار - الموالي فى العصر الأموي ص ٦٢ .  
(٢) الحمراء هنا المراد بهم الموالي العجم من الفرس والروم وكانوا يسمونهم العجم أو الأعاجم  
كما سماوا أيضاً بالحمراء ( البلاذري - فتوح البلدان ص ١٣٠ ) .  
(٣) محمد الطيب النجار - الموالي فى العصر الأموي ص ٦٣ .

وفى المائتين للمولى نكال وفى سلب الحواجب والحدود  
إذا كفاتهم بينات كسرى فهل يجد الموالى من مزيد  
فأى الحق أنصف للموالى من أصهار العبيد إلى العبيد (١)  
وهو إضعاف لشأن الموالى والخط من منزلتهم حتى أنهم شعروا بهذا الفارق  
فى المعاملة ، ولكنهم كانوا من الضعف بحيث لم يتمكنوا من الإفصاح بمكنون  
أنفسهم ، فهم يطربون طرباً شديداً لمن يمدحهم ويظهر محاسنهم ويعترف  
بفضلهم وحسن بلائهم فى الإسلام . فعندما مدحهم جرير بن الخطنى بيت قال فيه :  
فيجمعنا والغر أولاد سادة أب لا يبالي بعده من تغدرا  
اجتمعوا حوله يسلمون عليه ويهشون له وانبسطت أسارير وجوههم ثم  
أهدوا له مائة ألف حلة (٢) .

كما أنهم يأنفون ويغضبون ممن يذمهم أو ينتقص من شأنهم أو يحاول  
هجائهم ، ولهذا غضبوا من بعض الشعراء الذى ذم بنى العنبر لأنهم رفضوا  
ضيافته ، فانصرف عنهم وهو يقول :

يامالك بن طريف إن بيعكم رقد القرى مفسد للدين والحسب  
قالوا نبيعهك بيعاً فقلت لهم بيعوا الموالى واستحيوا من العرب  
فأنفوا من هذا البيت لأنه وضع فيه من شأنهم ورأى أن الإساءة إليهم  
غير محسوبة عيباً (٣) .

ولقد دفعت العصبية العربية بنى أمية إلى وضع الموالى فى منزلة أقل  
منهم حتى فى أحلك الظروف التى يحتاجون فيها إلى الموالى وهى أوقات  
الحرب والقتال ، إذ كان العرب يمتطون الخيل ثم يكونون فى مؤخرة  
الصفوف ، بينما يقاتل الموالى راجلين وهم فى مقدمة الصفوف ، ولهذا قال  
المختار لإبراهيم بن الأشتر يوم خازر: (إن عامة جنديك هؤلاء الحمراء -  
ويقصد الموالى - وإن الحرب إن ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون  
الخيل، وارجل الحمراء أمامهم) (٤) .

(١) الأصفهاني - الأغاني ٢١٧/١٤ ، أحمد أمين ضحى الإسلام ٢٥ / ١ .

(٢) المصدر السابق ١٢٥ / ٧ .

(٣) المصدر السابق ١٩ / ٢ .

(٤) المبرد - الكامل ٢٧٣ / ١ .

مما جعل الموالي يكرهون بنى أمية ويتمنون زوال دولتهم ، فعندما قام المختار ابن أبي عبيد الثقفى يطالب بالثأر ممن قتلوا الإمام الحسين بن على سارع الموالي بالإنضمام إليه ، وقد صرح بذلك الدينورى بقوله : ( وكان أكثر من استجاب له همدان وقوم كثير من العجم الذين كانوا بالكوفة وكانوا يسمون الحراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل ) .

وكان سبب انضمام كثير من الموالي إلى صفوف المختار بن أبى عبيد الثقفى كراهيتهم لسياسة الأمويين نحوهم والتي أحسوا معها أنهم فئة منبوذة لهذا سارعوا بالإنضمام إلى الحركات المناوئة للدولة الأموية وأذروا المختار فى حركته وكافأهم المختار على نصرتهم له ووقوفهم معه بكل ما أوتوا من قوة أن جعل لهم فى الفىء نصيباً معلوماً ، وقد أغضب فعله هذا العرب وسخطوا عليه وراحوا يلومونه على عطائه للموالي ، فيذكر الطبرى قولهم : « وأخذوا يقولون والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا ، ولقد أدنى سواينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ولقد عضتنا عبيدنا فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتعدوا منزل شبت بن ربيعى وقالوا نجتمع فى منزل شيخنا وكان شيت جاهلياً إسلامياً فاجتمعوا فأتوا كمنزله فصلى بأصحابه ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث قال : ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شىء هو أعظم من أن جعل للموالي الفىء نصيباً ، فقال لهم شبت دعونى حتى ألقاه فذهب فلقبه فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلا وقد ذاكزه إياه فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار أرضيهم فى هذه الخصلة وأتى كل شىء أحبوا فذكر الموالي فقال عمدت إلى موالينا وهم فىء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر فى ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم وشركاءنا فى فيئنا فقال له المختار إن أنا تركت لكم موالىكم وجعلت فيئكم فيكم أتقاتلون معى بنى أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه فلم يرجع إلى المختار » (١) .

كان الموالي قد تنفسوا الصعداء فى ظل حركة المختار الثقفى وأحسوا بقيمتهم الاجتماعية وسط أنماط المجتمع الإسلامى ، ولكن لم تطل هذه الفترة فسرعان ما احتدم الصراع والنزاع بين العرب بزعامة مصعب ابن الزبير الذى

كان والياً على البصرة وبين الموالي بزعامة المختار من أجل السيطرة على العراق ، وقد تمكن مصعب من الاستحواذ على المختار والقضاء عليه ومن ثم القضاء على كثير من الموالي أتباع المختار (١) .

وما إن تولى عبد الملك بن مروان أمر الخلافة حتى عاد الموالي إلى المعاناة والاضطهاد من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي أحد أركان الدولة الأموية ، ويذكر ابن عبد ربه أن عبد الملك استعمل مولى له يقال له نباته في حمل الرسائل إلى واليه على العراق الحجاج بن يوسف (٢) .

وفي عهد عبد الملك بن مروان تم تعريب الواووين في كل الأقاليم التابعة للدولة الأموية مما أدى إلى إقصاء الموالي وبعدهم عن هذه الوظائف الكتابية ، مع أن جلة الموظفين بالدواووين كانوا من العجم سواء كانوا من الموالي كصالح ابن عبد الرحمن مولى بنى تميم أو كانوا من أهل الذمة كسرجون بن منصور الرومي كاتب الخراج في عهد معاوية بن أبي سفيان ، فلما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر إلى ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة وظهر العرب ومواليهم أمر عبد الملك سليمان ابن سعد أن ينتقل ديوان الشام إلى العربية فنقله ، كما أمر الحجاج كاتبه صالح ابن عبد الرحمن بنقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية (٣) .

وزاد الموالي ضعفاً في ظل سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أمر ألا يؤم بالكوفة إلا عربى ، وكان شديد العصبية للعرب مخلص الولاء للأمويين . أما في عهد عمر بن عبد العزيز نعم الموالي بالعدل والإنصاف الذي ساد في عصره وأحسن الموالي بروح الإسلام السمحة والتي طالما افتقدوها في ظل بعض خلفاء بنى أمية وولائهم ووجدوها في ظل هذا الخليفة العادل ، ولهذا أسرعوا إليه بالشكوى من سوء معاملة الولاة معهم ومنعهم من العطاء وتفضيل العرب عليهم (٤) .

وقد أشار الطبرى إلى أن الموالي شكوا إلى عمر بن عبد العزيز ظلم الولاة

(١) المصدر السابق ١١٧/٦ . (٢) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١٨/٤ .

(٣) ابن خلدون - المقدمة ص ١٧١ ، والبلاذري - فتوح البلدان ص ٢٩٨ .

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية ٢٠٤/٩ .

لهم وقالوا نيا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالى يغزون بلا عطل ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا فيقول أتيتكم حفيماً وأنا اليوم عصبى والله لرجل من قومي أحب إلى من مائة غيرهم وبلغ من جفائه أن كم درعه يبلغ نصف درعه وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان ، فقال! عمر! إذن مثلك فليوفد<sup>(١)</sup> .

كما أمر الخليفة عمر رضي الله عنه ولاته بإعفاء الموالى من الجزية إذا دخلوا الإسلام ، وقد حاول الخليفة هشام بن عبد الملك أن يسلك طريقاً وسطاً فى سياسته وأن يجمع بين العناصر المختلفة ويؤلف بينها ولاسيما بين العرب والموالى فرد على حيان النبطى قائد الموالى مبلغ مائة ألف درهم كانت قد أخذت منه ، كما أنه زاد فى عطاء الموالى حتى وصل إلى ثلاثين درهماً وكان فى عهد معاوية خمسة عشر درهماً<sup>(٢)</sup> .

والواضح من سياسة الأمويين أنهم كانوا لا يمنحون الموالى من العطاء مثل إخوانهم العرب وذلك بسبب النزعة العربية التى سيطرت على بنى أمية وأنهم كانوا يعطون ويمتنعون على حسب الأهواء والأغراض حتى ليروى أن الخليفة هشام بن عبد الملك لما خرج عليه زيد بن على عاقب أهل الحرمين فمنع عنهم العطاء سنة ، فلما جاء الوليد بن يزيد كتب إليهم يطمئنهم فقال :

ألا أيها الركب المخبون أبلغوا	إسلامى سكان البلاد فاسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة	بوالده فاستبشروا وتوقعوا
سيوشك الحاق بكم وزيادة	واعطية تأتى تباعاً فتشفع
ضمنت لكم أن لم ترعنى منيتى	بأن سماء الضر عنكم ستقلع <sup>(٣)</sup>

ويرى بعض الباحثين أن سياسة الأمويين فى العطاء كانت سياسة مضطربة يملئها عليهم ذلك الجو المحيط بهم ، فتارة يرون الحكمة هى اغداق العطاء على المعارضين من العرب لتأليف قلوبهم كما فعل الأمويون مع الحسن والحسين ابني

(١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٦ / ٥٥٩ ، وابن عبد الحكم / سير عمر بن عبد العزيز ص ٤٥ .

(٢) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٢ / ٢٢٨ .

(٣) الأصفهاني - الأغاني ٦ / ١١٥ .

على وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهم ، وتارة يرون أن الحكمة هي في منع العطاء عنهم لردعهم كما فعل هشام والوليد بن يزيد مع أهل الحرمين أما الموالي فلم يكن لهم في العطاء نصيب أو كان لهم النزر اليسير (١) .

بينما يرى البعض الآخر أن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً يسوى فيه بين الناس ويكافأ فيه الرعية على السواء ، إنما كان الحكم حكماً عربياً والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم ، كانت تسود العرب فيه نزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية ، فكان الحق والباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل ، فالعمل حق إذا صدر عن عربي من قبيلة وهو باطل إذا صدر عن مولى أو عربي من قبيلة أخرى (٢) .

والجدير بالملاحظة أن نظرة بنى أمية المستعلية إلى الموالي بهذه الصورة التي أشرنا إليها آنفاً لم تكن سائدة في كل أوساط المجتمع ، بل كانت سائدة بين البدو والولاه ، أما نظرة العدل والمساواة في المعاملة والحقوق فقد كانت سائدة في الأوساط العلمية والدينية . فالعالم يسود بعلمه وأدبه سواء كان مولى أو عربياً بل أن أغلب سادة التابعين كانوا موالى والناس منحوهم من الإجلال والتوقير مثل العرب لا تفاضل بينهم إلا بالدين والعلم ، والأمثلة التي تدل على هذا كثيرة .. فنجد الزهري ومسروق بن الأجدع وشريحاً وسعيد بن المسيب وقتادة .. كل هؤلاء من سادة التابعين وهم عرب . كما نجد الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبيرة وعطاء بن يسار وربيعة الرأي وابن جريج منه سادة التابعين وهم موالى والناس كانوا يأخذون العلم عنهم جميعاً ويفتونهم فيفتوهم . ولما قتل الحسن البصرى تبع الناس كلهم جنازته حتى لم يبق بالمسجد من يصلى العصر ، ولما قتل سعيد ابن جبيرة على يد الحجاج بن يوسف استنكر الناس جميعاً عمله القبيح ودعوا عليه بالهلاك مع أنه كان يقتل بالآلاف من المسلمين (٣) .

ويشير الأصفهاني إلى بعض سمات العرب في معاملتهم للموالى قبل مجيء الدولة العباسية فيقول : ( كانت العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية إذا قبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله عنه فلا

(١) الطيب التجار - الموالي في العصر الأموي ص ٦٥ .

(٢) أحمد أمين - ضحى الإسلام ٢٨/١ .

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ١٠١/٩ ، أحمد أمين - ضحى الإسلام ٢٨/١ .

يمنتع ولا السلطان يغير عليه ، وكان إذا لقيه راكباً وأراد أن ينزل فعل وإذا  
رغب أحد في تزوج مولاة خطبها إلى مولاها دون أبيها أو جدها (١) .

ولهذا أنكر العامة على بنى أمية هذه العصبية والتفرقة العنصرية التي أرهقوا بها  
الموالي بعد أن سوى الإسلام بين الجميع فقال شاعرهم :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم مولى الغريب فخذ بفضلك فافخر  
مولاك أكرم من تميم كلها أهل الفعال ومن قريش المشعر  
فارجع إلى مولاك غير مدافع سبحان مولاك الاجل الأكبر  
كما أصبح حرمان الموالى من الوظائف الرسمية فى الدولة الإسلامية  
خلال تلك الفترة مثل حرمانهم من العطاء سواء بسواء ، حيث كانت  
الوظائف الكبيرة مقصورة على العرب دون غيرهم إلا فى القليل النادر .

والحق أن العصبية العربية التي وجدت عند بنى أمية وصبغتهم بطابع الإيذاء  
والشتم والاستعلاء على الموالى نتج عنها كراهية الموالى لبنى أمية كراهية تمنوا  
معها زوال دولتهم وانهارها بسبب ما لحق بهم من ظلم ، فسعوا فى الخفاء إلى  
إسقاطها وانضموا إلى كل حركة مناوئة ضد الأمويين كما رأينا إنضمامهم إلى  
دعوة المختار الثقفى وإلى حركة عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، مما يدل دلالة  
واضحة لا غموض فيها ولا التواء على كراهية الموالى لحكم بنى أمية .

ومن هنا افتخر بعض الموالى على العرب بحضارتهم الزاهرة وتاريخهم  
التالد وتعصبوا للبدان والموطن وسرت بينهم روح العصبية للأمة الفارسية التي  
كانت أسبق الأمم حضارة وتقدماً ، ويبدو لنا ذلك واضحاً فى شعر  
إسماعيل بن يسار الذى كان يتغنى بمجد الفرس وتاريخهم ، فقد دخل  
إسماعيل على هشام بن عبد الملك فى خلافته وهو بالرصافة جالس على بركة  
له فى قصره فأشده قصيدة يفخر فيها بالعجم فقال :

ياربع رامة بالعلياء من ريم هل ترجعن إذا حييت تسليمي  
حتى انتهى إلى قوله :

إنى وجدك ما عودى بنى خور عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم  
أصلى كريم ومجدى لا يقاس به ولى لسان كحد السيف مسموم

أحمى به مجد أقوام ذوى حسب      من كل قرم بتاج الملك معموم  
جحاجح سادة بلجج مرابزة      جرد عتاق مساميح مطاعيم  
من كسرى وسابور الجنود معاً      والهرمزان لفخر أو لتعظيم  
أسد الكتائب يوم الروع أن زحفوا      وهم أذلوا ملوك الترك والروم  
فغضب هشام وقال أعلى فتفخر وإياى تشد قصيدة تمدح بها نفسك  
وأعلاج قومك غطوه فى الماء فغطوه فى البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم  
أمر بإخراجه وهو يشترّ ونفاه من وقته إلى الحجاز ، وكان إسماعيل هذا  
مبتلى بالعصية للعجم والفخر بهم ولهذا عاش مطروداً (١) .

### خامساً - أسباب تعصب العرب ضد الموالى :

والسؤال الذى يطرح نفسه ويتبادر إلى الذهن هو .. ماهى الأسباب  
والدواعى التى جعلت بنى أمية يتعصبون ضد الموالى ويحتقروهم ؟  
والحق أن الآراء مختلفة ومشتتة فى الأسباب الحقيقية لتعصب العرب على  
الموالى خلال تلك الفترة ، فيرى البعض أنها رجعت إلى مقتل الخليفة عمر  
ابن الخطاب على يد أبى لؤلؤة الجوسى وطعن معه رهط آخرون ، ولما سمع  
عمر أن قاتله نصرانياً قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله  
سجدة واحدة (٢) .

ولاشك أن هذا الحادث أثار عصبية العرب ضد العجم سواء من أسلم  
منهم أو من بقى على دينه ، ويرى البعض الآخر أن من أهم أسباب تعصب  
العرب على الموالى فى ذلك الوقت أنهم كانوا يرون من بعضهم خروجاً على  
المبادئ الإسلامية ، فبعض الموالى ظلوا مخلصين فى قرارة نفوسهم لمعتقداتهم  
الدينية القديمة وقبلوا الإسلام ظاهرياً فقط .

بينما يرى أحد المستشرقين أن العرب لم يكونوا يحترمون سوى مهنة  
الحرب ولذا اعتبروا الموالى طائفة أقل شأناً من العرب وتقترب من طائفة  
الرقيق ، وهو رأى بعيد عن الصواب بكل المقاييس الصحيحة وذلك لأن  
الحرب ليست مهنة تمتهن ، فالحرب فى نظر الإسلام سواء كانت دفاعية أو

حرب من أجل نشر الإسلام جهاد في سبيل الله عز وجل والجهاد فريضة دينية وليس مهنة حرفية ، هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى فإن الحقائق التاريخية تؤكد على مشاركة الموالى للمسلمين في حركة الفتوحات الإسلامية وأن دورهم القتالي لا يقل أهمية عن دور العرب ، فضلاً عن تفوقه فلا علة إذن لاحتقارهم أو جعلهم أقل شأناً من العرب ماداموا يتحملون معهم أعباء الحرب والقتال .

ويذهب الخربوطلى إلى القول بأن العرب كانوا يرون في الموالى نزعات قومية تميل إلى القضاء على السيادة العربية إلى جانب ذلك شعر العرب في قرارة أنفسهم أن معظم الموالى لم يعتنقوا الإسلام عن اقتناع بمبادئه القويمة وإنما دخلوه لمصالح شخصية ذاتية كالتظاهر بالإسلام للفرار من دفع الجزية أو الوصول إلى وظيفة سامية ومنزلة عالية .

والرأى عندى أن بعض الموالى وليس معظمهم لم يدخل الإسلام إيماناً بمبادئه وعدالته وإنما دخله طمعاً في مغنم أو فراراً من مغرم أو خوفاً من سلطانه ، وهذه الفئة القليلة من الفرس أو الموالى صدها الأمويون صداً عنيفاً وعاقبهم على كيدهم للإسلام أشد عقاب بعد أن أشعلوا فى نفوسهم العصبية العربية التى جعلت العرب يميل بعضهم إلى بعض خلال تلك الفترة بصورة واضحة ، وهذه الفرقة من الموالى كانت مطموسة المعالم ولم تتمكن من الظهور والجهر بمفاسدها خلال العصر الأموى ، فلما جاء العصر العباسى تمتعوا بالحرية المطلقة فكشفوا عن نواياهم الخبيثة للإسلام .